أنساق بناءالخبر في كتاب(أنس المسجون وراحةالمحزون) لصفي الدين الحلبي

المدرس: أزهار علي عاصي شناوه الزيرجاوي

قسم اللغة العربية-كلية التربية للعلوم لانسانية- جامعة ذي قار- ذي قار- لعراق

Dr.Azhar.Ali.Assi@utq.edu.iq

الكلمات المفتاحية: أنساق الخبر، الإسناد، الإستهلال، تداخل الأجناس، الخاتمة

الملخص :

يعد الخبر جنساً أدبياً مهماً في الثقافة العربية فقد سعت دراستنا هذه الى إستجلاء أنساق بناء النص الخبري في مدونة تاريخية ثقافية عربية إسلامية، إنمازت بتنوع معارفها وشموليتها وقد تمثلت هذه المدونة بكتاب (أنس المسجون وراحة المخزون) لصفي الدين الحلبي، وأبتدأنا بدراسة نسق الإسناد بوصفه جزءاً اساسياً من أجزاء النص الخبري، ثم تدرجت الدراسة الى تناول نسق الإستهلال وفيه وقفنا على أنواع الإستهلالات المبتدئة بها أخبار الحلبي ومنها (الحدثي، والوصفي، والفضائي، والحواري) فضلاً عن نسق الخاتمة ومن أنواعها الإختتام (بالوصايا والدعاء والشعر) وأخيراً نسق تداخل الأجناس الأدبية وفيه وقفنا على الحضور الشعري في العديد من النصوص النثرية الخبرية .

FORMS OF BUILDING THE NEWS IN THE BOOKANAS THE LMPRISONED AND THE COMFORT OF THE GRIEVED BY SAFI ALDIN ALHALABI

Azhar Ali Assi Shnaouh Al Zirjawi
Department of Arabic Language- College of Education for Humanities- university of Thi Qar- Thi Qar- Iraq
Dr.Azhar.Ali.Assi@utq.edu.iq

Keywords: format the news ,attribution ,initiation, overlapping of genders

Abstract

The news is an important literary genre in the Arab culture. This study sought to elucidate the patterns of building the news text in an Arab-Islamic historical and cultural blog, distinguished by the diversity and comprehensiveness of its knowledge. This blog was represented by the book (Anas the Prisoner and Rahat al-Makhon) by Safi al-Din al-Halabi, and we began to study the isnad system as a part Basically from the parts of the news text, then the study progressed to dealing with the initiation format, in which we fell on the types of beginning initiations by the soldiers of Al-Halabi, including (the hadith, the descriptive, the space, and the dialogue, as well as the format of the conclusion and its types of closing (with commandments, supplications and poetry) and finally the literary overlapping format and genders We have been blessed with the poetic presence in many news prose texts.

أولاً : مفهوم الخبر

الخبر لغةً: مشتق من الفعل (خَبَر) و ((خَبُرْتُ بالأمرِ أي عَلِمْتُهُ وخَبَرَتُ الأمر أخبرُهُ إذا عرفتَهُ على حقيقته. وقوله تعالى: (فَاسْأَلْ به خَبيراً) [الفرقان: 59] أي اسْأَلْ عنه خبيراً يَخْبُرُ. والخَبرُ بالتحريك واحد الاخبار. والخبر: ما اتاك من نبأٍ عَمَّن تستخبرهُ))[1] والخبر: ((ما يُنقلُ ويحُدَّثُ به قولاً او كتابةً. وقول يحتمل الصِّدق والكذب لذاته))[2].

أمّا اصطلاحاً: يمكن ان يُعرف بأنه ((فن قصصي.. يغلب عليه قول الحقيقة يشير الى سرد من التاريخ))[3]. يصدر عن مخبر الى مخاطب مع وجود فاصل زمني بين المخبر (الراوي ، السارد) وبين الاخبار والحكايات[4].

ومن أهم الملامح التي ينفرد بها الخبر عن غيره من الأجناس النثرية الموازية له في الموروث التراثي العربي هو الإقتصاد في الأساليب وهي ميزة ناتجة عن بساطة بنية الاخبار[5]. ومن خصائص الخبر الاخرى بساطة الإنتقال من البداية والنهاية عبر مساحة سردية قصيرة في الغالب[6]. فضلاً عن ذلك فان الخبر ((على عكس الأنواع السردية الأخرى ينمو افقياً في حين تنمو الأنواع الأخرى افقياً وعمودياً))[7] . وبذلك يمكن القول إنَّ الخبر ((هو إعادة صياغة وانتاج لفنون سردية كانت معروفة من قبل إنه نسج جديد للتعبير عن محتوى قديم))[8].

ثانياً : صفي الدين الحلبي

وهو الشيخ الفاضل العلَّامة صفي الدين، أبو الفتح عيسى بن البحتري الحلبي، ليس له ترجمة لكن محقق الكتاب يذكر في مقدمة الكتاب ثلاث إشارات تخص حياته:

الأولى: هي مقدمة تشير الى شخصه دون تحديده، وقد طُمست بعض كلماتها، وهي تشير بمجملها الى صورة عامة لرجلٍ قد تقاربت صروف الزمان به. وتآلفت المحن عليه، فقد نزلت به المصائب وحلّت به البلايا من السجن والفقد والعدم وهذا ما نجده في مقدمة الكتاب[9].

اما الثانية: فيذكر المحقق في بعض أخبار الكاتب إنّ مولاة صفي الدين الحلبي لمولاه ركن الدين أحمد بن قرطاء يدل على إنه من رجال القرن السابع، ونجزم إنه كان حيّاً سنة 625[10].

والإشارة الثالثة: وردت في الخبر (597) صفحة (225) والذي يصدره بقوله: ((حدثني الشيخ الصالح أوحد الدين الكرماني)) وكانت له صداقات مع الشيخ ابن عربي[11]. فالخبر يعزز لنا إن الكاتب كان حياً سنة 625، وإنه قد استوى مع الشيخ ابن عربي بالتلقي، فكلاهما قد أخذ عن أوحد الدين الكرماني.

ويذكر المحقق: ((إنّ غياب ترجمة المؤلف دفعنا الى ان نتلمس ملامحه الثقافية والتاريخية من خلال كتابة (أنس المسجون وراحة المحزون) وتبقى هذه الأحكام عرضة للتغيير والتبديل إذا وجدنا ترجمة واقعية له تحدّثنا عن الرجل وعقيدته، وتخبرنا عمّا مات عليه))[12].

ثالثاً : أنس المسجون وراحة المحزون

هذا الكتاب على صغر حجمه ودقة جرمه يُعدُّ من الكتب الفريدة في بابه حيث خصصه مصنفه للمسجونين، وربما يكون أول كتاب يوقف لدراسة هذه الظاهرة في الآداب العالمية.

وقد ذكر المؤلف سبب تأليفه للكتاب فقال في مقدمته :

((ولما امتحنت بالمحن وصرفت إليّ صروف الزمن، واعتقل مخدومي الذي رضعت من لبون نعمه، ونشأتُ في حمى إحسانه وكرمه وأصبت بوفاة الوالد والأخ وحصلتُ بعدهما وبعد ذهاب المال في كفة الحدثان والفخ .. وتواترت عليَّ محنٌ تشيب الوليد، وتخلق ريعان كُلِّ جديد .. وأصبح السجن لي ربعَ أُنسٍ، والأشجان راحة قلبٍ وقوتَ نفسٍ. رأيت أن أجمع تذكرةٌ تكون لي في حال النعم مذكرة بالشكر، وفي حال النقم باعثة على العزاء والصبر، ووسمتها بـ ((أنس المسجون وراحة المحزون))[13].

وتبتدئ أهمية الكتاب ايضاً بنصوصه ومادته، فإن كثيراً من نصوصه يكاد ينفرد بها، فمن خلال هذا الكتاب نتلمس ثقافة رجل من أصحاب الدواوين جمّاعة لا بأس به، صاغ تجربته التي مرت به فأجاد واستفاد من مخزونه الثقافي فأحاط وأفاد.إذ حشد أخبار وأقوال عن السجن وما يتعلق به الحاكم والأمير والزائر وحتى السامع ولولا سعة إطلاعه وشمولية ثقافته لعجز عن هذا السرد[14].

والكتاب يُعدُّ من كتب الأدب العامة، ولإن كانت تسميته بـ (أنس المسجون وراحة المحزون) فإنما هو من باب تسمية الكل بأسم الجزء، وبهذا أعطى الكتاب شمولية لها بُعدان: مكاني ونفسي، وبهذا أخرج الكتاب من أن يكون تخصيصاً.

يقع الكتاب في تسعة فصول وهي :

الفصل الأول: في الشكر واستدامة النعم وصرفه المحن والنقم.

الفصل الثاني: في الصبر والرضا والتسليم والعزا.

الفصل الثالث: في الموت وانقطاع الأسباب بين الأهلين والأصحاب.

الفصل الرابع: في السجن والتعويق ومن خرج الى سعة من ضيق.

الفصل الخامس: في نفاق الأصحاب والأخوان وتغيرهم مع تغير الزمان.

الفصل السادس: في القناعة واليأس والزهادة فيما بأيدي الناس.

الفصل السابع: في مكارم الأخلاق والكرم ومحاسن المناقب والشيم.

الفصل الثامن: في التقوى والأمانة وقمع الهوى والديانة.

الفصل التاسع: في ذم الدنيا والزهادة فيها وتغلب أحوالها بأهاليها وما قيل من تنبيه ووعظ.

وهو مجموع أدبي يشتمل كل فصل منه على نثر وشعر، وأخبار أدبية وقد بلغ مجموع النصوص (646) نص.كما أشار المؤلف الى مصادره التي استقى منها مادة كتابه فذكر التنوخي والمسعودي و (مجالس ثعلب)[15].

وقد حقق الكتاب محمد أديب الجادر تحقيقاً علمياً رائعاً، وأخرجه في حلة تسرُّ الناظرين، ونشرته دار البشائر في دمشق سنة 1417هـ الموافق 1997م.

ويقع الكتاب في (293) صفحه، منها (25) صفحة للمقدمة، و(221) صفحة لنص الكتاب المحقق، و(43) صفحة للفهارس.

أنساق بناء النص الخبري

أولاً: نسق الإسناد

السند لغةً: تأتي كلمة (السند) في اللغة من (سَنَدَ) بمعنى إعتمد واتكأ. وفلان سَنَدٌ، أي معتَمدٌ. وأسند الحديث الى فلان: رفعه. والإسناد رفع الحديث وإيصاله الى قائله[16].

أما في الإصطلاح: فهو الإخبار عن طريق المتن، وهو يمثل سلسلة الرواة الناقلين للمتن عن مصدره الأول، وسُمي الإخبار عن طريق المتن سنداً لاعتماد الحفاظ في صحة الحديث وضعفه عليه، والإسناد هو الحكاية عن طريق متن الحديث[17].

ولعل أوضح تعريف للإسناد ما ذكره الرافعي حيث قال: ((والإسناد لا يراد به إلاّ شهادة الزمن على إتصال النسب العلمي بين راوي الشيء وصاحب الشيء المروي))[18].

ومن ذلك حظي الإسناد بمكانة علمية متميزة عند علماء الحديث أو عند أصحاب الرواية الأدبية إذ ((لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء))[19]، حتى عُدَّ الإسناد ((نسقٌ من التراسل الشفوي للرواية، وهو السبيل الوحيد للتثبت من صحة انتساب الأخبار القديمة))[20].

ولم يخرج صفي الدين الحلبي عمّا إعتمده أصحاب الحديث من ألفاظ الإسناد ومصطلحاته عند إيراده الأخبار، والتي لا تكاد تخرج عن (قال، قيل، ذكر، روى، حكى، زعم، حدّث) التي تدل على السماع وهي ((أرفع الطرق عند الجماهير))[21].

ومن هذه الصيغ التي وردت كثيراً في كتاب (أنس المسجون وراحة المحزون) صيغة (قال) ومن أمثلته ذلك الخبر الذي أورده الحلبي: ((قال الحسن بن يحيى الكاتب: لقيت محمد بن العلوي الحمّاني بعد خلاصه من حبس الموفَّق فهنَّأته بالسلامة[22]، وقلت: قد عُدتَ الى وطنك الذي تألفه، وإخوانك الذين تحبهم)).

وقوله في موضع آخر:

((قال القاضي التنوخي: من طريف ما شاهدناه: أنَّ أبا تغلب فضل الله بن ناصر الدولة أبي محمد استوحش من أخيه محمد بعد موت أبيهما، فقبض عليه واستصفى ماله، ونعمته، وقبض عقاره وضيعه، وثقله بالحديد))[23].

وكذلك الخبر: ((قال إسحاق بن أبراهيم الموصلي: حضرتُ يوماً بباب الرشيد فقيل لي: هو نائم فلقيني جعفر بن يحيى، وقال: ما الخبر؟ قلت: أمير المؤمنين نائم. فقال: قف مكانك ومضى الى دار الخليفة ..))[24].

ويبدو إنّ هيمنة صيغة (قال) الإسنادية على هذه الأخبار تعطي انطباعاً أن المقام السردي فيها أصبح وسيلة لإيراد القول، وهذه ظاهرة بالغة الأهمية تكشف عن سر من أسرار الخبر الأدبي

يتمثل في توقف السردية فيه بحلول الخبر المقصود، لإنها مركز الثقل في الخبر وفيها يكمن مبرر وجوده[25].

إلاّ إننا نجد في بعض الأحيان إن الحلبي لا يُصرح بأسم الشخص القائل للخبر، إذ يختفي الراوي ليفسح المجال ويترك الكلام لشخصيات وهمية. فمثلاً يقول الحلبي في بعض أخباره:

((ذكر رجلٌ من الأعراب قال: نزلتُ برجلٍ من طي فنحر لي ناقة فأكلت منها، فلما كان الغد نحر أخرى، فقلت له: إنّ عندك من اللحم ما يكفي ويغني ...))[26].

وقوله في خبر آخر: ((قال رجلٌ لإبراهيم بن هرمة الشاعر: بأي شيءٍ استحق منك عبدُ الواحدِ بن سليمان أن تقول فيه))[27].

وكذلك الخبر: ((روي إنّ شاعراً أتى أبا البحتري وهب بن وهب وكان من أجود الناس، وكان إذا سمع مدح المادح ضحك وسرى السرور في جوانحه فأتاه هذا الشاعر وأنشده ..))[28].

فالحلبي في هذه الأخبار لم يصرح بإسم الراوي الذي أخذ منه الخبر، بل اكتفى بقوله، (رجل، شاعر) ولعله بذلك يُهيئ القارئ لتقبل أي شيء يسرده، عندما يلقي عهده الكلام على غيره.

وللسماع صيغ أخرى متعددة نجدها في كتاب (أنس المسجون) منها (حدّث) وقد جعلها العلماء مرادفة لـ (قال)[29]. ومن نماذجه قول الحلبي:

((حدَّث بعض تجار المدينة قال: كنتُ أختلف الى جعفر بن محمد وكنت له خليطاً ...))[30].

وقوله ايضاً: ((حدَّث الفضل بن الربيع قال: كنت مع المنصور في السفرة التي مات فيها ..))[31].

وأيضاً الخبر: ((حدَّث محمد بن عبّاد قال: دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلب في السجن))[32].

ومن صيغ السماع الأخرى التي وردت في كتاب (أنس المسجون وراحة المحزون) (حكى وروى)، ومن نماذج صيغة (حكى) الخبر الذي نقله الحلبي: ((حُكي عن زوجة فتح الموصلي بأنّها عثرت فانقطع ظفرها فضحكت))[33].

أمّا صيغة (روى) فقد وردت كثيراً في كتاب (أنس المسجون وراحة المحزون) حيث نجد عشرات الأخبار التي تفتح بهذه الصيغة نذكر منها على سبيل المثال قوله: ((روي عن أبن عباس رضي

الله عنه قال: دخلت على عمرو بن العاص وقد أحتضر))[34]. وكذلك الخبر: ((روى عن الأصمعي قال: دخلت على الرشيد ودموعه تنحدر على خديه))[35].

وتدخل ضمن صيغة (حكى وروى) صيغة (ذكر وزعم) ومن نماذج صيغة (ذكر) الخبر الذي أورده الحلبي: ((ذكر أبو عبد الله الباقطائي قال: سمعت عبيد الله بن سليمان يُحدّث في وزارته))[36].

وأيضاً الخبر: ((ذكر منارة صاحبُ الخلفاء قال: رُفع الى هارون الرشيد إنّ رجلاً بدمشق من بقايا بني أُمَّية))[37].

أما صيغة (زعم) فقد وردت في الخبر التالي: ((زعم الأصمعي أنّ حرباً بالبادية ثم إتصلت بالبصرة فتفاقم الأمر ثم مُشي بين الناس بالصلح))[38]. وهي قليلة الورود في كتاب الحلبي.

وقد تنوعت أسانيد الحلبي في كتابه من حيث الطول، فمنها ما أسنده الى سلسلة من الرواة وهو قليل. ومن نماذج ذلك الخبر الاتي: ((حدّث خالد بن يزيد قال: حدثنا عبد الله بن يعقوب بن داود قال: قال أبي: لما حبسني المهدي في بئر))[39].

ومنه أيضاً ((عن أنس بن عياض عن هشام عن محمد بن كعب القرظي إنّ نوحاً عليه السلام كان إذا أكل قال))[40].

ولعل الحلبي كان يهدف بهذا الإسناد وضع الخبر في إطاره الزمني لأن ((كل رجل في سلسلة الإسناد إنما هو قطعة من الزمن تتصل بقطعة .. حتى يتهيأ من ذلك مسلك التاريخ ويتضح منهجه حتى كأنك تراه رأي العين ويقين الخبر))[41].

في حين نجد هناك أخباراً في كتاب الحلبي ذات إسناد قصير- وهو الغالب – ولعل هذا القصر عائد الى قصر الفترة الزمنية بين وقوع الخبر وروايته أو بسبب شيوع الحادثة التي تُشكّل عماد الخبر المروي. ومثال هذا النوع من الأسانيد ما نجده في الخبر الآتي:

((قال علي بن يقطين: كنت مع المهدي بماسبذان، فقال لي يوما: أصبحتُ جائعاً فأتني بأرغفةٍ ولحمٍ باردٍ ففعلت، ثم دخل البهو فنام ونمنا في الرواق))[42].

ومنه ايضاً قول الحلبي: ((إنّ أبا مسلم الخراساني رحمه الله أهدى بعض أصحاب الأطراف فرساً سابقاً متكامل الصفة فقال لجلسائه: لماذا يصلح هذا الفرس؟))[43].

وأحيانا تأتي بعض أخبار الحلبي خالية من الإسناد إلاّ إنّه قليل منها قوله:

((إعتل ذو الرّياستين بخُراسان مدة طويلة، ثم أبلَّ واستقلَّ وجلس للناس فدخلوا عليه وهنّوه بالعافية))[44]. ومنه أيضاً: ((أفتقد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صديقاً له من مجلسه ثم جاءه فقال: أين كانت غيبتُك؟))[45].

ثانياً : نسق الإستهلال

الإستهلال لغةً: مشتق من الفعل (هلل) وجاء في لسان العرب ((هلَّ السحاب المطر ... استهل المطر وهو شدة انصبابه، واستهلت السماء في أول المطر .. واستهل الصبي بالبكاء: رفع صوته وصاح عند الولادة))[46].

أمّا إصطلاحاً فهو: ((الجزء الأول من الكلام .. الذي يقدم فيه المتكلم جملة من الألفاظ والعبارات يشير فيها إشارة لطيفة الى موضوع الكلام وكيفية التدرج فيه))[47]. وهو ((المحرك الفاعل الأول لعجلة النص كله))[48].

وتعد عتبة الإستهلال المفتاح الثاني من مفاتيح القراءة بعد مفتاح عتبة العنوان لإنها تمثل أول دخول ميداني الى أرض النص ومتنه الكتابي[49]. وتغري القارئ نحو الإندفاع في تلقي النص أو العزوف عنه وإهماله، لذلك قد يتوقف مصير العمل على براعة الكاتب في تشكيل عتبة إستهلال فيها الكثير من التركيز الفني والايحاء الجمالي[50].

وتبرز أهمية الإستهلال ودوره بوصفه مكوناً مهماً من مكونات النص الأدبي فكما إنّ الخاتمة أبقى في السمع وألصق بالنفس كذلك الإستهلال له أهميته ودوره الفعّال في الجذب والإستقطاب اللذين يمارسهما في ذات المتلقي ووعيه وإدراكه[51]. فضلاً عن دوره في التلميح بأيسر القول عما يحتويه النص إذ يمكّن القارئ من الدخول الى عالم النص بإعطائه خلفية عامة عن أحداثها، حتى يتمكن من ربط الأحداث فيما بعد[52].

واستناداً الى ما سبق يمكن أنّ نبيّن الصيغ الإستهلالية التي يمكن أن تتشكل منها الأخبار الواردة في كتاب (أنس المسجون وراحة المحزون) من دون الإقرار إن ما جئنا به هو استيفاء كل الأنواع، إذ أن هناك العديد من أنواع البدايات التي تتنوع بتنوع نصوصها ومن أهم هذه الأنواع:

1- الإستهلال الحدثي :

الإستهلال الحدثي هو الذي يتضمن الحدث الرئيس الذي يبنى عليه العمل الأدبي[53]، وهذا النوع من البدايات يعمل على تأكيد حدث معين ((حتى يتسنى خلق وصل بين ما قيل في السابق، وبين ما يليه ويلحقه))[54]. وهو إستهلال سياقي يعمل على لفت انتباه القارئ نحو جوهر الحكاية ومركز تبئيرها السردي، كما يتضمن مستوىً عالٍ من الدرامية بعكس البدايات الوصفية الساكنة[55].

ومن أمثلة هذا النوع من الإستهلال ما أورده الحلبي في كتابه: ((كان موسى الهادي قد طالب أخاه الرشيد أن يخلع نفسه من العهد ليصيِّرَهُ لإبنه بعده. ويخرج هارون من الأمرفلم يجب الى ذلك. فأحضر يحيى بن خالد البرمكي...))[56].

إنّ الإستهلال في هذا الخبر هو إستهلال يصور الحدث الأساس الذي يبني عليه الخبر وعلى أساس هذه البداية قامت أحداث القصة الأخرى مثل رفض خالد إقناع هارون،وملاحقته والأمر بقتله، ومطالبة أحد أصحابه بابقائه ليلة وهي الليلة التي مات فيها الهادي وبذلك كان خلاصه من الموت وهو الحدث الأخير، وهذه الأحداث جميعها مبنية أساساً على الحدث الإستهلالي.

ومن أمثلة هذا النوع أيضاً الخبر الذي إستهله الحلبي بحدث ظفر المأمون بعمّه يقول: ((لما ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي أحبَّ أن يوبِّخه على رؤوس الأشهاد، فأمر بإحضاره من محبسه فجيء به يحجل في قيوده حتى وقف على طرف الإيوان وقال ...))[57].

في هذا الخبر نلاحظ إنّ بداية النص زامنت بداية الحدث أي أن الحلبي نقلنا مباشرةً الى الحدث الأساس الذي توالدت منه أحداث أخرى متتابعة إبتداءً من ظفر المأمون بعمه ثم إحضاره من محبسه وأمرهم بقتله لنصل في نهاية الخبر الى الحدث الأخير وهو عفوه عنه وإطلاق سراحه.

2- الإستهلال الوصفي :

وهو تقديم (تمثيل) الأشياء والكائنات والمواقف أو الأحداث في وجودها المكاني عوضاً عن وجودها الزمني[58] ، ويعمل هذا النوع من الإستهلال على ((إضاءة أجواء النص))[59] ، بتقديم وصف عن محور الخبر الذي سيسرده الراوي ومن نماذج الإستهلال الوصفي الخبر الذي نقله الحلبي يقول: ((وكان بالجزيرة رجل يُقال له خُزيمة بن بشر الأسدي وكان ربَّ نعمة يُفْضِل على إخوانه ومن يقصده، فلم يزل به ذلك حتى أنفذ ماله واحتاج الى إخوانه فواسوه حيناً ثم مَلّوه)) [60].

إنّ البداية الوصفية في هذا الخبر أعطت القارئ فكرة واضحة عن شخصية (خزيمة الأسدي) الذي تدور أحداث الخبر حوله فبعد أن قدّم لنا الحلبي سرداً وصفياً عن حاله إنتقل الى ذكر الأحداث التي دارت حول افتقاره وجلوسه في داره، لينتهي الخبر بغناه وتبدل حاله من قبل والي الجزيرة عكرمة بن الفياض ولعل هذه البداية الوصفية جاء بها الحلبي لإقناع القارئ بما سيحصل في نهاية الخبر عن خزيمة بعد افقاره.

وأحياناً تسعى البداية الوصفية الى أعطاء المتلقي صورة واضحة عن أحدى شخصيات الخبر، عندما تقترن الأحداث بشخصية محددة الصفات والأفعال فوجود شخصية معينة في الجملة الإستهلالية يوحي بأنّ لهذه الشخصية دوراً في تشكيل الحدث الرئيس للخبر[61].

كما في خبر إعتقال الرشيد للرجل الأموي،يقول الحلبي: ((رُفع الى هارون الرشيد أنّ رجلاً بدمشق من بقايا بني أُميّة، عظيم الجاه، واسع الدنيا، كثير المال والأملاك، مُطاعاً في البلد، له جماعة مماليك وأولاد وأموال يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم، وإنّه سَمِحٌ جوادٌ كثيرُ الضيافة، وإنّه لا يؤمن منه فتق يتعذر فتقه، فَعظُم ذلك على الرشيد))[62].

إنّ تصدير الخبر بلون معين من الصفات يخلق لدى المتلقي أفقاً واسعاً لما سيحصل في نهاية الأحداث، فضلاً عن ذلك فأن الحلبي قد أختار هذه النعوت بالذات كونها الحجر الأساس الذي يبنى عليه صراع الشخصيات منها مضايقته والقبض عليه لتصل الأحداث في نهايتها الى إطلاق سراحه وإرجاعه الى دياره. وهو أكثر ما كان يتوقعه القارئ بعد قراءته لإستهلال الخبر.

3- الإستهلال الحواري :

يقوم هذا النوع من الإستهلال على الحوار بين الشخصيات، ويطلق عليه بعضهم البدايات المشهدية او القولية[63] ومن أمثلة ذلك قول الحلبي:

((قال عبد الملك بن مروان لأسماء بن خارجه الفزاري: بلغني عنك أخلاقٌ شريفةٌ فصفها لي فقال: يا أمير المؤمنين هي من غيري أحسن.فقال: أقسمت عليك لتفعلنَّ.فقال:ياأمير المؤمنين ما قدّمتُ رُكبتي أمام جليسي قطُّ ...))[64].

وكذلك قوله: ((قيل: دخلت أبنة زهير على عائشة وعندها أبنة هرم تسأل عائشة،فقالت أبنة هرم لأبنة زهير:أَوَما أعطى أبي أباك ماأغناه ،وأغناكِ عن المسألة ؟ فقالت أبنة زهير: إنّ أباكِ أعطى أبي ما يفنى، وأبي أعطى أباكِ مايبقى ،ثم قالت..))[65].

إنّ الحوارية التي نجدها في أول الخبرين السابقين تمثل الأساس الذي يرتكز عليه الخبر، إذ ينطلق السرد بإنطلاق السؤال من الشخصية المحاورة، لتلقي بعد ذلك عهده السرد على الشخصية المجيبة، التي تأخذ بدورها بيد القارئ لتصله الى نهاية الخبر ويمكن القول أن الخبر في هذه البدايات يكون جواباً لسؤال.

4- الإستهلال الفضائي :

يرتبط الإستهلال الفضائي بمكونات البنية السردية إرتباطاً وثيقاً خاصةً عنصري الزمان والمكان، إذ إننا نلحظ استحواذ المكان على إستهلال الخبر عندما تكون بنية النص مكانية، على حين يتصدر الزمان غيره من العناصر عندما تكون بنية النص زمانية[66].

ومن نماذج الإستهلال الزماني في كتاب أنس المسجون قول الحلبي في أحد أخباره: ((زعم الأصمعي أنّ حرباً كانت بالبادية، ثم أتصلت بالبصرة فتفاقم الأمر ثم مُشي بين الناس بالصلح، فاجتمعوا في المسجد الجامع قال: فبُعثتُ وأنا غُلام الى عبد الله بن عبد الرحمن العقفاني فاستأذنت عليه، فأذِنَ لي ...))[67].

إنّ الزمن في هذا الخبر هو زمن الماضي، ماضي لشخصية التي تروي الأحداث إلاّ إنّه يمثل بداية أحداث الخبر، وعلى الرغم من أن هذه الإفتتاحية تركز على الماضي إلاّ إنّ مساحة الحاضر تتزايد ويتناقص عرض الماضي كلما تقدم النص الى الأمام، فلو تتبعنا الخبر وجدنا الأحداث تبدأ من إرسال الأصمعي الى عبد الله واستقباحه لزيّه ثم تتنامى الأحداث لتصل في نهاية الخبر الى الإستقبال المهيب لعبد الله عند حضوره الى الجامع وحلّهِ للتنازع وقضائه بين الناس بالصلح.

إمّا الإستهلال المكاني فإنه يركز على أبراز المكان وإعطائه مكان أكبر من غيره من العناصر السردية، ومن أمثلته قول الحلبي:

((أُخبرتُ أنّ الملك الناصر صلاح الدين يوسف تغمَّدهُ الله برحمته كان نازلاً بحلب، ووصله كتاب نائبه بمصر يذكر فيه أن أحد العاملين عنده تخلّف عليه في حسابه نيفٌ وعشرون ألف دينار، وإنّه هرب ويسأل تطلُّبه من بلاد الشام وغيرها والبحث عنه ...))[68].

وكذلك قوله: ((قيل إنّ ابن حيُّوس الشاعر قصد حلب، ومالكُها يومئذٍ ابن صالح فأقام بها مدة، ولم يتهيأ له مدحُ ابن صالح ولا الإجتماع به، فقفل عن حلب، فلما سار عنها أُخبر ابن صالح به، فأنفذ من ردَّه، وتقدم الى القاصد أن يستعلم ما عنده من حمدٍ او ذمٍّ ...))[69].

إذ مثّل المكان في الخبرين السابقين إحلال القارئ في دائرة مجرى الأحداث، بُغية التأكيد على أهمية المكان حيث تتفاعل الشخصيات وتتوالى الأحداث فيه.

ثالثاً : نسق التداخل :

يقصد بالتداخل النصي ((حضور مقطع من نص محفوظ في سياق الكتابة، وهذا المقطع يُنسب الى صاحبه، أو يذكر من القرائن ما يفيد إنّه كلام مُضَّمن))[70].

وبهذا يكون التداخل النصي الأدبي تواجد نصوص أدبية شعراً أو نثراً في نصٍ أدبي آخر بحيث تكون منسجمة معه، وتوظف لتدل على فكرة يريد أن يطرحها الأديب فهو يزيد النص عمقاً وتأثيراً، من دون أن يكون عبئاً يثقل كاهله، بل يكون جزءاً من بنيته ونسيجه[71]. كما أنّ تواجده يعني ((الوظيفة السردية التي يؤديها الشعر في بنية النص، مما يشكّل وحدة عضوية لا يمكن معها فصل الشعر عن النوع الذي التحم معه))[72].

وقد أشتمل كتاب (أنس المسجون وراحة المحزون) على الكثير من الأبيات الشعرية التي تداخلت في طبقات المتن الخبري وامتزجت بها، إذ يبدو التمازج بينهما جلياً واضحاً فهي نثر فني بصيغة شعرية متكاملة السمات من قبيل السرعة الخاطفة، واللحظة المكثفة، والتقطيع في السرد، والإنتقال المفاجئ.

ولم يكن تواجد الشعر في كتاب أنس المسجون من أجل التنوع والشمولية فقط بل تأتي لتقوية المضمون ولتحقيق جملة من الوظائف الأخرى وتتجلى علاقة الشعر بالنثر في صورتين:

الصورة الاولى :

يكون الشعر بمثابة الهامش بالنسبة للنص السردي، إذ يخضع لإرادة النثر ويكون تابعاً له. ويأتي في صور مختلفة أبرزها أنّ يتخذ من الشعر عنصراً سردياً فاعلاً لا تقدم القصة من دونه، إذ يترتب عليه أحداث ومواقف مهمة[73]، ومن أمثلته الخبر الذي نقله الحلبي يقول:

((قيل إنّ عبد الله بن زياد أتى برجل فشتمه، وقال: أحروريٌّ أنت ؟[74] فقال الرجل: لا والله، ما أنا بحروريٌّ. فقال: أما والله لإفعلنَّ بك ولإصنعنَّ، أنطلقوا به الى السجن فأنطلقوا به، فلما ولّى سمعه ابن زياد وهو يهمس بشيءٍ، فردّه وقال له: ماذا قلت ؟ قال: عنَّ لي بيتان من الشعر. قال: إنّك لفارغٌ أنت قلتهما أم شيءٌ سمعته ؟ قال: بل أنا قلتهما. قال: ما قلت ؟ قال:

عسى فرجٌ يأتي به اللهُ إنَّهُ له كلَّ يومٍ في خليقتهِ أمرُ

إذا أشتدَّ عُسرٌ فارْجُ يُسراً فإنهُ قضى اللهُ أنَّ العُسرَ يتبعهُ يُسرُ

قال: فسكت ابنُ زياد ساعة ثم قال: قد أتاك الله عز وجل بالفرج، خلَّو سبيله))[75].

لقد جاء البيت الشعري في الخبر وسيلة إنتقال من حدثٍ لآخر. وهذا بدوره يتحقق عندما يكون البيت حاملاً لدلالة معينة تؤدي الى تغيير مسار الخبر، إذ إن سماع ابن زياد الأبيات قلب

الأحداث رأساً على عقب، فبعد أن كان موقفه سجن الرجل والمعاملة القاسية فإذا به بعد ذلك يعفو عنه ويخلو سبيله. وبذلك يكون البيت الشعري أحد أهم الركائز التي يستند عليها النص.

وأحياناً يأتي الشعر في النص ليكون برهانا على صحة ما يُساق من أخبار واقتناع القارئ بوقوعها[76] ، ففي أحد أخبار الحلبي يذكر أبياتاً لأحد شخصيات خبره سعياً منه لتأكيد مضمون الخبر يقول: ((روي عن الأصمعي قال: دخلتُ على الرشيد ودموعه تنحدر على خدّيه وهو ينظر في كتاب، فظلت قائماً حتى سكن، فحانت عليه إلتفاته فقال: إجلس يا أصمعي. فجلست، فقال: أرأيت ما كان ؟ فقلت نعم، يا أمير المؤمنين. فقال: أما إنه لو كان لأمر الدنيا ما رأيت هذا، ثمَّ رمى بالقرطاس إليَّ، فإذا فيه شعرٌ لأبي العتاهية بخطٍّ جليلٍ:

هل أنت مُعتبرٌ بمن خَربتْ منه غداةَ قضى دساكِرُهُ
وبَمنْ أذَّل الموتُ مصرعهُ فتبرأتْ منه عشائِرُهُ
وبَمنْ خلتْ منه أسَّرتُهُ وبَمنْ خَلَتْ منه منابِرُهُ
أين الملوك وأين عزُّهم صاروا مصيراً أنت صائِرُهُ

ثم قال: كأني واللهِ أنا المخاطب بذلك دون الناس. ولم يلبث بعد ذلك إلاَّ قليلاً حتى مات.))[77].

فالأبيات في هذا الخبر جيء بها لإقناع القارئ بأن هذا الحدث قد وقع فعلاً (أي إضفاء الواقعية على الخبر) ولتأكيد الحادثة وتخليدها، إذ يستعير الشاعر مكونات النص السردي ويُضفي عليها شيئاً من إبداعه ليكسب النص الشعري تميزاً نوعياً عن النص النثري، وإن تطابقا في التجربة ذاتها.

والواقع أنّ الشعر لم يدخل في هذه الأخبار عبثاً، وإنّما كان دخوله جوهرياً، فمعظم ما ورد من شعر في أخبار الحلبي إنّما يروي الأحداث مرة أخرى على لسان أحد أبطالها، وهو وأن كان يمزج في بعضها بين الأحداث الخارجية وموقفه النفسي، إلاَّ إنّها في آخر الأمر تؤكد أحداث الخبر، منها قول الحلبي في أحد أخباره:

((قال عبد الله بن المعتز: لما أمر المكتفي بحبسي في بغداد، نالني خوفٌ عظيمٌ، وبقيت محبوساً الى أن قَدِمَ المكتفي الى بغداد، وازداد خوفي بقدومه ولم أنم تلك الليلة خوفاً وقلقاً بوروده، فمرّت بي في السِّحر طيور، فتمنيت أنّ أكون مُخلًّى مثلها، لما يجري عليَّ من النكبات، ثم فكّرت في نِعم الله

تعالى، وما حازه لي من الأسلام والقربة من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما أُؤمّله من البقاء الدائم في الآخرة وقلتُ في الحال:

يا نفسُ صبراً فإن الخير عُقباكِ خانتكِ من بعد طُولِ الأمنِ دنياكِ
مرَّتْ بنا سحراً طيرٌ فقلتُ لها طُوباك يا ليتني إيّاكِ طُوباكِ
لكنْ هو الدَّهرُ فالقيهِ على حَذَرٍ فربَّ مثلكِ تنزو تحت أشْراكِ

فما أصبحتُ إلاّ قد سأل المكتفي عني، وأمر بإطلاقي، وأطلق لي مالاً))[78].

في هذا الخبر نجد عبد الله بن المعتز يقدّم لنا ما مَّر به من أحداث سرداً، ثم ينتقل بعد ذلك لينظمها شعراً. ويمكن أن نلحظ من الوهلة الأولى تطابق التجربتين السردية الواقعية والشعرية الإبداعية، وقد أسهمتا في الكشف عن أبعاد الواقعة الحياتية وإضاءة جوانبها، فقد جعلتا القارئ على علمٍ بما عاناه أبن المعتز عندما أمر المكتفي بحبسه.

ومن الوظائف الأخرى التي أدّاها الشعر في كتاب الحلبي الوظيفة الوصفية إذ يستعين الراوي بالشعر لإكمال مالم يقله النثر من مواصفات تغني الخبر وتوضح جوانبه[79]، ويمكن أن نذكر الخبر الآتي تمثيلاً لما ذكرنا يقول الحلبي((قال المازني: دخلت على الواثق، فقال لي: بااسمك ؟ – وهي لغةٌ للحارث بن كعب – فقلت :بكر. قال: هل لك من ولد ؟ قلت: أُخيّة تحلُّ مني محلَّ الولد. قال: فما كان قولها لك عند رحيلك إلينا ؟ قلت: قالت قول الأعشى:

تقولُ أبنتي حين جدَّ الرحيل أرانَا سواءً ومَنْ قد يَتمْ
أبانا فلا رُمتَ من عِنَدنا فإنَّا بخيرٍ إذا لم تَرِمْ
تُرانا إذا أضمرتكَ البلا دُ نُجفى وتُقطعُ مِنا الرَّحِمْ

فقال: والله لقد ذكَّرتكَ بنفسها، فأحسنتْ فبماذا أجبتها ؟ قال:

ثقي باللهِ ليس له شريكٌ ومَنْ عِند الخليفةِ بالنجاحِ

فقال: والله لقد أحسنتَ، ثق بالله ثم بالنجاح، يا غُلام، أنجحه بألفِ دينارٍ فأخذتها وأنصرفت))[80] .

فالرجل في الأبيات السابقة مزج بين مدح الأمير وطلب حاجته، وقد سعى بهذه المزاوجة للوصول الى مراده، وقد حصل على العطاء بعد هذه الأبيات التي ضمنها وصفاً للأمير لم نعثر عليه في

ثنايا النص السردي، ولعل تأثر الأبيات في نفس الأمير أقوى وأشد منه لو عددها نثراً وهذا عائد الى سهولة حفظ الشعر في الذاكرة العربية فضلاً عن الذائقة العربية التي تفضل الشعر على النثر.

ومن الوظائف الأخرى التي يؤديها الشعر الوظيفة الحوارية إذ يستعمل الشعر في الجمل الحوارية بين الشخصيات ويستشهد به في مواضع تحاورهم وهو يمثل الحركة القصصية أو الجانب الدرامي في النص[81]. ومن أمثلته قول الحلبي في أحد أخباره: ((مرَّت الخنساء على هند بنت عتبة بن شيبة وهي تنشد مراثي من أهل بيتها، فقالت لها: على ما تبكين ؟ قالت: أبكي سادات مضر. قالت: فانشديني بعض ما قلتِ. فقالت:

أبكي عمود الأبطحين كليهما ومانعِها من كُلِّ باغٍ يُريدُها
أبي عُتبة الفياضُ ويحكِ فأعلمي وشيبة والحامي الديار وليدُها
أولئك أهل العِزِّ من آلِ غالبٍ وللحربِ يومٌ حينَ عُدَّ عديدُها

فقالت الخنساء: مرعى ولا كالسعدان، وأنشدت تقول:

أبكي أبي عَمْراً بعينٍ غريرةٍ قليلٌ إذا تغفى العيون رَقودُها
وصخراً ومَنْ مثل صخرٍ إذا بدا تساميه الأبطالُ قبّا يَقُودُها))[82]

ففي هذا الخبر يتوقف السارد ليتولى الشعر الذي يرد على لسان الشخصيات مهمة السرد، وإيراده في هذا الخبر لم يكن أمراً إعتباطيا من قبل السارد، وإنّما جاء نتيجة حاجة فنية تعين المؤلف على تجسيد المشهد وتجسيمه.

الصورة الثانية لعلاقة الشعر بالنثر :

يكون الشعر بمثابة الأساس للنص ويأتي الخبر تابعاً له وتأتي هذه العلاقة في صور متعددة منها أن يأتي الخبر بمثابة ((الهامش الذي يُشرح فيه الغامض ويُفصل المجمل))[83]. ومنه قول الحلبي:

((قال: الأصمعي: نزلت على رجل من جَعْدَة في سنة مجاعة فقدم لي كُسيرات وتميرات وأقبل يعتذر ويقول: أنّ الله عز وجل يقول في كتابه

ما كلَّف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجودُ يدٌ إلاَّ بما تَجِدُ

فقلت: يا هذا، ليس هذا من كتاب الله، فقال: إنّه حسنٌ فألصقوه به))[84].

وأحياناً يأتي الخبر تمهيداً لقول الشعر وتوضيحاً لمناسبة قوله[85]. كقول الحلبي في الخبر الآتي الذي يدور حول عتاب أبو إسحاق لصديقه أبو الفرج بعد زيارته القصيرة له وهو في السجن:

((وقيل: كان أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي محبوساً فزاره أبو الفرج الببغاء في محبسه، وخفف الزورة عنده فكتب أبو إسحاق في الحبس إليه:

أبا الفرج أسلمْ وأبقَ وأنعم ولا تزل ... يزيدك صرفُ الدَّهرِ حظّاً إذا نقصْ

مضتْ مُدَّةٌ تستامُ وِدّي غالباً ... فأرخصتهُ والبيعُ غالٍ ومرتخصْ

وآنستني في محبسي بزيارةٍ ... شفتْ قَرِماً من صاحبٍ لك خلصْ

ولكنها كانت كحَسْوةِ طائرٍ ... فُواقاً كما يستفرِصُ السارقُ الفُرصْ

وأحسبُكَ استوحشتَ من ضيق محبسي ... وعادك عِيْدٌ من تذكُّرِكَ القَفَصْ

كذا الكُرَّزُ اللمَّاح ينجو بنفسهِ ... إذا عاينَ الأشراك تُنَصبُ للقنصْ))[86]

ولعل أهم ما يميز هذا النوع من الأخبار هو ميلها الى الإيجاز فلا يرد إلاَّ ما كان ضرورياً لفهم الشعر.

وأيضاً من مظاهر خضوع الخبر لسطوة الشعر الأخبار التي تُبنى على ((السؤال عما يُحفظ من شعر في هذه الحالة أو تلك))[87]

ومنه قول الحلبي:

((وقيل: دخل عمرو بن عُبيد على المنصور وكان إذا دخل أرسل الى المهدي ليسمع كلامه، فتكلم عنده الى أنْ خرج الى ذكر الشعر، فقال له المنصور: أنشدني أبياتاً حساناً. فقال:

يا أيُّهذا الذي قد غرَّهُ الأملُ ... ودون ما تأملُ التنغيصُ والأجلُ

أما ترى إنّما الدنيا وزينتها ... كمنزل الحيِّ داراً نمتَ فارتحلوا

حتوفُها رَصَدٌ وعيشُها نكدٌ ... وصفوها كدرٌ وملكُها دولُ

تظلُّ تقرعُ بالرَّوعاتِ ساكنِها ... فما يسُوغُ لهم لينٌ ولا جدلُ

كأنها للمنايا والرَّدى رصدٌ ... تظلُّ فيها نباتُ الدَّهرِ تنتضِلُ

قال: فرأيت وجههُ قد تغير وقال: هكذا الدنيا))[88].

ويمكننا القول إنّ الحلبي قد شيَّد بعض نصوصه الإخبارية عبر استدعائه للنصوص الشعرية بشخصياتها ومواقفها، حيث شغّل طاقة الشعر ومكانته ليسهم في توظيفه لصالح الإمتداد السردي، لذلك فطريقتهِ في الجمع بين الشعر والنثر لم تكن مجرد ترصيع للنثر بالشعر أو مجرد تنوع أسلوبي، وإنّما أراد إزالة الحدود الفاصلة بين النصوص الادبية وجعل النص جنساً أدبياً واحداً.

رابعا : نسق الخاتمة :

تعد الخاتمة ركنا أساسيا في النص الأدبي، فهي النقطة التي يسعى اليها الكاتب والقارئ معاً، إذ إنّها غاية كل شيءٍ وآخره[89]. إذ لا تأتي منفصلة عن باقي أجزاء العمل الأدبي، إنّما تشكل نهاية يُغلق فيها النص وعليها تترتب نتائج استقبال المتلقي النص أو عدمه، فهي لحظة تنوير، إذ يكتمل عندها الأثر ويتشكل المعنى، وتضيء القصة[90]. بما تحمله من عناصر إثارة تخيلية للمتلقي وتحصيل الغاية ومتعة الإكتشاف وانفراج الأزمة[91].

فالخاتمة تمثل لحظة انفصال بين المبدع والقارئ وهذا الانفصال قفل للنص، لأنه يعلن عن اختتامه وإغلاقه وتكون ((الحدث الأخير في الحبكة أو الفعل))[92]، إذ تتبع أحداث سابقه عليها ولا تكون متبوعة بأحداث أخرى، فهي تؤدي الى حالة من الأستقرار النسبي[93].

وقد إتسمت أخبار الحلبي بتنوع خواتيمها، فلم يعتمد على نوع واحد من الخاتمة، ولعل هذا التنوع عائد الى تنوع الأخبار نفسها وهي بدورها تعد مؤشراً على ثقافته الواسعة.

وكان لفن الوصايا حضور بارز في خواتيم الحلبي، فكثير ما طرز الحلبي أخباره بنماذج منها يقول الحلبي مختتماً بعض أخباره بالوصايا ((قيل: إنّ انوشروان حبس بُزُرجمهر بن البختكان الحكيم – وكان وزيره – عند غضبه عليه في بيت كالقبر ظُلمةً وضيقاً، وصفَّده بالحديد، وألبسه الخشن من الصوف، وأمر أن لا يزاد كل يوم على قرصين خبزاً شعيراً وكفٌ ملح جريشاً وشربةِ ماءٍ ... فدخل إليه جماعة من المختصين به فقالوا: أيُّها الحكيم، نراك في هذا الضيق والحديد والصوف والشِّدة التي دُفعتَ اليها، ومع هذا فأن سَحْنَةَ وجهك وصحة جسمك على حالهما لم يتغيرا، فما السبب في ذلك ؟ فقال: إنّي عملت جوارش من ستة أخلاط آخذ منه كل يوم شيئاً فهو الذي أبقاني على ما ترون. فقالوا فصفه لنا ... قال: الخَلْطُ الأول: الثقة بالله تعالى. الثاني: علمي بأنّ كل

مقدور كائنٌ. الثالث: الصِّبْر خير ما استعمله الممتحن. الرابع: إنْ لم أصبر فأيُّ شيءٍ أعمل. الخامس: قد يمكن أنْ أكون في شرٍّ ممَّا أنا فيه. السادس: من ساعةٍ الى ساعةٍ فرج))[94].

فالخاتمة في هذا الخبر قد هونت من معاناة الحكيم في سجنه، إذ تضمنت الدعوة الى الصبر على البلاء والثقة بالله وبفرجه.

والى جانب الوصايا نجد الحلبي يختتم بعض أخباره بفن الدعاء ومن أمثلته قوله: ((رُوي عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: دخلت على عمرو بن العاص وقد احتُضر، فقلت له: يا أبا عبد الله، كنت تقول: أشتهي أرى رجلاً عاقلاً يموت حتى أسأله كيف يجد، وقد نزل بك، فأخبرني كيف تَجِدُك ؟ فقال: أجدُ السماء كأنّها منطبقة على الأرض وأنا بينهما وأراني كأنما أتنفَّسُ من خَرْتِ إبرةٍ، ثم قال: اللَّهُمَّ، خُذْ مني حتى ترضى، ثم رفع يده، وقال: اللَّهُمَّ، أمرت فعصينا، ونهيت فركِبنا، فلا بريءٌ فأعتذر، ولا قويٌ فأنتصر ولكن مذنبٌ أسْتَغفر))[95].

لقد وظف الحلبي فن الدعاء خاتمة لهذا الخبر سعياً منه الى بيان شدة حاجة العبد الى رحمة ربه في تلك اللحظات، فكثيراً ما يكشف الدعاء عن بواطن الشخصيات، ويتلألأ في لحظاتها جوهر النفس الحقيقي.

كما تشكّل العناية بالخاتمة الشعرية بنية مهمة بين أشكال الخاتمة في كتاب أنس المسجون، فكثيراً ما وظف الحلبي النصوص الشعرية خاتمة لأخباره، إذ تلتحم النصوص الشعرية بالنثرية لتقدم لنا أخباراً.كقوله:

((قال الجاحظ: رأيتُ بهلول المجنون بجامع الكوفة يبكي، فقلت له: ما يبكيك ؟ فقال: إنّي جائعٌ. فقلت: عليك بالصبر. فقال: منشداً:

يقولون لي في الصِّبرِ رَوْحٌ وراحةٌ ولا عهد لي بالصِّبر مُذْ خُلق الصَّبرُ

ولا شكَّ أنّ الصَّبرَ كالصَّبْرِ طعمُهُ وإنّي رأيتُ الصَّبرَ ممتنعٌ وَعْرُ

ثم عطف وأنشد:

الصَّبرُ جارُك فاحتفظْ بجوارِهِ عند الحوادثِ والُملِمّ النازلِ

فَلَتُعطينَّ جزاءهُ مُتَعجَّلاً ولتَحْمدنَّ ثوابهُ في الآجلِ))[96]

إذ ختم الخبر بخاتمة لم يكشفها النثر بالطاقة نفسها التي كشفها الشعر، لإن نظم بهلول لمشاعره شعراً أكثر تأثيراً في نفس المتلقي من سردها نثراً فالشعر كما يقال يخاطب القلب قبل العقل.

الخاتمة

وفي الختام نذكر أهم النتائج التي توصل اليها البحث :

1- نجد إنّ صفي الدين الحلبي في كتابه (أنس المسجون وراحة المحزون) لم يتشدد في إسناد بعض أخباره ولم يكن له في الإسناد موقفٌ واضحٌ فقد عمد الى إيراد أخبار خالية من السند، أو تقديمها بإسناد قصير يقتصر فيه على قول (قال، قيل، حكى، روى، ذكر) وربما يعود ذلك الى إنّها أخبار تتضمن العديد من الحكم والمواعظ والنوادر لا ينفعها الإسناد ولا يضرها ما حذف منها لإن المهم في الأخبار متونها، وتأثيرها في نفس المتلقي.

2- تميز نسق الإستهلال في أخبار الحلبي بكونه بنية تتناسب وموقعها في أول الكلام، لأنّ هذه البنية آتية من أنَّ محتوى النص وأسلوبه هما اللذان ولّدا جوهر الإستهلال وقاعدته لذلك يمكن عدّ الإستهلال في أخبار الحلبي إشارة تعبيرية تلوّح بمضمون الخبر.

3- لقد شكّل التداخل بين الشعر والنثر حضوراً بارزاً ومميزاً في أخبار الحلبي فقد وظف الحلبي طاقات الشعر وامكانياته خدمة للنص الخبري ليجعل المتلقي أكثر ثقة ومصداقية فيما يرويه أو ليؤكد أهمية الخبر وواقعيته، كما حرص على إعطاء النص الشعري وظائف سردية داخل النص، فالنص النثري في الخبر تارة يستخدم الشعر ويوظفه وتارة يخدمه وينضم تحت لوائه.

4- إنّ تنوع مادة النصوص الخبرية يودي الى تنوع خواتيمها، كون الخاتمة خلاصة الخبر ونهايته، وهي آخر ما يبقى في ذهن السامع، فلم تأتي منفصلة عن باقي عناصر النص الخبري وإنّما هي نتاج النص.

المصادر والمراجع

1- الإستهلال فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1993م.

2- أنس المسجون وراحة المحزون، صفي الدين البحتري الحلبي، تح: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م.

3- البداية في النص الروائي، صدوق نور الدين، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1994م.

4- بداية النص الروائي (مقارنة لآليات تشكل الدلالة)، أحمد العدواني، النادي الأدبي بالرياض، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2011م.

5- بناء الرواية، دراسة مقارنة في (ثلاثية نجيب محفوظ)، سيزا قاسم، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004م.

6- بنية السرد في القصص الصوفي (المكونات والوظائف والتقنيات)، ناهضة ستار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2003م.

7- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، راجعه وضبطه: عبد الله المنشاوي، مهدي البحقيري، مكتبة الايمان، المنصورة، د.ت.

8- التقنيات الفنية والجمالية المتطورة في القصة القصيرة، حسن غريب احمد، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

9- الخبر في الأدب العربي (دراسة في السردية العربية)، محمد القاضي، دار العرب الأسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.

10- الخبر في السرد العربي (الثوابت والمتغيرات): سعيد جبار، شركة المدارس للنشر والتوزيع، دار البيضاء، ط1، 2004م.

11- الخلاصة في أصول الحديث، الحسين بن عبد الله الطيبي، تح: صبحي السامرائي، عالم الكتب، ط1، 1985م.

12- دراسات في القصة القصيرة جداً، جميل حمداوي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 2013م.

13- الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم، صالح بن رمضان، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2001م.

14- السرد العربي القديم (الأنساق الثقافية وأشكاليات التأويل)، ضياء الكعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م.

15- عتبات الكتابة القصصية (دراسة في بلاغة التشكيل والتدليل)، جميلة عبد الله العبيدي، تموز، دمشق، ط1، 2012م.

16- العتبات النصية المحيطة في أعمال صنع الله ابراهيم الروائية، وداد هاتف وتون، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ط1، 2015م.

17- العنوان وسيموطيقا الإتصال الأدبي، محمد فكري الجزار، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.

18- الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، ركان الصفدي، الهيأة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011م.

19- قاموس السرديات، جيرالد برنس، تح: السيد امام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2003م.

20- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، تصحيح: أمين محمود، محمد الصادق، دار إحياء التراث العربي، ط3، (د.ت).

21- المبتدأ في قصص الأنبياء، محمد بن اسحاق، جمع وتوثيق: محمد كريم الكواز، مؤسسة الأنتشار العربي، بيروت، ط1، 2006م.

22- المصطلح السردي، جيرالد برنس، تح: عابد خزندار، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2003م.

23- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، تح: 1984م.

24- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979م.

25- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الأسلامية للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1972م.

26- معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله النيسابوري، تح: السيد المعظم حسين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1979م.

27- ملامح الرواية عند جرجي زيدان، علاء الدين سعد جاويش، مؤسسة حورس الدولية، الاسكندرية، ط1، 2011م.

28- موسوعة السرد العربي، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2008م.

29- نزهة النظر في شرح نخبة الفكر، أحمد بن علي العسقلاني، دار المعارف، مصر، (د.ت).

- **الرسائل العلمية :**

1- فن الخبر في كتاب لطف التدبير (دراسة وظائفية)، إشراق سامي، إطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، 2006م.

- **البحوث والدوريات :**

1- تداخل الأجناس وهيمنة السرد على الشعر، عبد الرحيم مراشدة، جريدة الدستور، ع786

2- مصطلحات تراثية للقصة العربية، عبد الله أبو هيف، مجلة التراث العربي، العدد 48، 1992م.

3- المكونات السردية للخبر الفكاهي (دراسة في أخبار الحمقى والمغفلين لأبن الجوزي)، عبد الله محمد عيسى، مجلة التراث العربي، ع 90، 2003م.

الهوامش

[1]- لسان العرب، أبن منظور (مادة خبر).

[2]- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون: 215/1.

[3]- مصطلحات تراثية للقصة القصيرة، عبد الله أبو هيف: 1/2.

[4]- ينظر: المكونات السردية للخبر الفكاهي، عبد الله محمد عيسى: 187.

[5]- ينظر: الخبر في الأدب العربي، محمد القاضي: 406.

[6]- ينظر: الخبر في السرد العربي (الثوابت والمتغيرات)، سعيد جبار: 218.

[7]- ينظر: نفس المصدر والصفحة.

[8]- فن الخبر في كتاب لطف التدبير، إشراق سامي: 10.

[9]- ينظر: أنس المسجون وراحة المحزون، صفي الدين الحلبي: 29-30.

[10]- ينظر: م.ن:

[11]- ينظر: م.ن: 14.

[12]- م.ن: 16-17.

[13]- م.ن: 29-30.

[14]- ينظر: م.ن: 15-17.

[15]- ينظر: م.ن: 19-21.

[16]- ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس: 105/3، ولسان العرب، أبن منظور (مادة سند): 387/6.

[17]- ينظر: نزهة النظر في شرح نخبة الفكر، أحمد بن علي العسقلاني: 24.

[18]- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي: 24.

[19]- معرفة علوم الحديث، النيسابوري: 6.

[20]- موسوعة السرد العربي، عبد الله إبراهيم: 35.

[21]- الخلاصة في أصول الحديث، الحسين بن عبد الله: 100.

[22]- أنس المسجون وراحة المحزون: 131.

[23]- م.ن: 149.

[24]- م.ن: 200.

[25]- ينظر: الخبر في الادب العربي، 356-357.

[26]- أنس المسجون وراحة المحزون: 198.

[27]- م.ن: 195.

[28]- م.ن: 194.

[29]- ينظر: الخبر في الأدب العربي: 244.

[30]- أنس المسجون وراحة المحزون :56.

[31]- م.ن: 67-68.

[32]- م.ن: 147.

[33]- م.ن: 56.

[34]- م.ن:

[35]- م.ن: 62.

[36] م.ن: 65.

[37] م.ن: 182.

[38] م.ن: 157.

[39] م.ن: 138.

[40] م.ن: 48.

[41] تاريخ آداب العرب: 288/1.

[42] أنس المسجون وراحة المحزون: 73.

[43] م.ن: 129.

[44] م.ن: 58.

[45] م.ن: 179.

[46] لسان العرب: (مادة هلل): 121/9.

[47] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس: 32.

[48] الإستهلال فن البدايات في النص الأدبي، ياسين النصير: 15.

[49] ينظر: العتبات النصية المحيطة في أعمال صنع الله إبراهيم، وداد هاتف وتوت: 87.

[50] ينظر: عتبات الكتابة القصصية، جميلة عبد الله العبيدي: 57.

[51] ينظر: بنية السرد في القصص الصوفي، د. ناهضة ستار: 84.

[52] ينظر: بناء الرواية، سيزا قاسم: 30.

[53] ينظر: دراسات في القصة القصيرة جداً، د. جميل حمداوي: 152.

[54] البداية في النص الروائي، صدوق نور الدين: 61.

[55] ينظر: بداية النص الروائي، أحمد العدواني: 262.

[56] أنس المسجون وراحة المحزون:152.

[57] م.ن: 146.

[58] قاموس السرديات، جيرالد برنس: 43.

[59] البداية في النص الروائي: 61.

[60] أنس المسجون وراحة المسجون: 202.

[61] ينظر: بنية السرد في القصص الصوفي: 92.

[62] أنس المسجون وراحة المحزون: 157.

[63] ينظر: دراسات في القصة القصيرة جدا: 162.

[64] أنس المسجون وراحة المحزون:214.

[65] م.ن:224

[66] ينظر: العنوان وسيموطيقا الإتصال، محمد فكري الجزار: 124.

[67] أنس المسجون وراحة المحزون: 38.

[68] م.ن: 229.

[69] م.ن: 229-230.

[70] الرسائل الأدبية ودورها في تطور النثر العربي القديم، صالح بدر رمضان: 416.

[71] ينظر: تداخل الأجناس وهيمنة السرد على الشعر، د. عبد الرحيم مراشدة: 6.

[72] المبتدأ في قصص الانبياء، محمد بن اسحاق: 36.

[73] ينظر: الفن القصصي في النثر العربي، راكان الصفدي: 290.

[74] الحرورية: نسبة الى حروراء موضع بظاهر الكوفة نزل به الخوارج الذي خالفوا الإمام علي (ع) وبها كان أول تحكيمهم وإجتماعهم، أأس المسجون وراحة المحزون: 134.

[75] أنس المسجون وراحة المحزون: 135.

[76] ينظر: الخبر في الأدب العربي: 546.

[77] أنس المسجون وراحة المحزون: 66.

[78] م.ن: 141.

[79] ينظر: السرد العربي القديم، ضياء الكعبي: 199.

[80] أنس المسجون وراحة المحزون: 199.

[81] ينظر: ملامح الرواية عند جرجي زيدان، علاء الدين سعد جاويش: 268.

[82] أنس المسجون وراحة المحزون: 85-86.

[83] الخبر في الأدب العربي: 542.

[84] أنس المسجون وراحة المحزون: 220.

[85] ينظر: الخبر في الأدب العربي: 547.

[86] أنس المسجون وراحة المحزون: 143-144.

[87] ينظر الخبر في الأدب العربي: 572.

[88] أنس المسجون وراحة المحزون: 238

[89] ينظر: لسان العرب مادة (ختم): 24/4.

[90] ينظر: التقنيات الفنية والجمالية المتطورة في القصة القصيرة، حسن غريب أحمد: 13.

[91] ينظر: بنية السرد في القصص الصوفي: 85.

[92] قاموس السرديات: 58.

[93] ينظر: المصطلح السردي، جيرالد برنس: 74.

[94] أنس المسجون وراحة المحزون: 129.

[95] م.ن: 63.

[96] م.ن: 224.